كريمة الطرفين

في رثاء المولى الإمام أبي الحسنين

مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي الحسني

قدس الله سره

نظم

الراجي عفو ربه ومغفرته:

عبدالرقيب مطهر محمد حجر

يـا رثـاء كـالجوهر المكنـون	أصبح الشعر فيك خير مدين
فهـو إنسـان عـين تلـك المعـاني	وهـو حقـا : كريمـة الطـرفين

وفي تقريظ (كريمة الطرفين) يقول السيد العلامة عبد الرحمن بن حسين شايم المؤيدي بعد أن اطلع عليها وحث على نشرها:

مـا أجمـل الشـعر إن رَقّـت حواشـيه	برصـــفِ ألفاظـــه تبـــدو معانيـــه
كمثـــل منظومـــةٍ فاقـــت محاســـنها	(رثـى بهـا مجـدَ هـذا العصـر صـابيه)
حـاكى بهـا مـن أجـاد الـنظم مبتـدأ:	(لكـــم مـــن الحـــب صـــافيه ووافيـــه)
هاتيـك في مـدح خـير الخلـق كلهـم	وهـــذه في الـــذي أضـــحى يحاكيـــه
لا فُـضّ فُـوْ نـاظِمٍ قـد صـاغها درراً	ودامَ للعلـــــم يرقــــى في مراقيــــه

بتاريخ شهر ذي الحجة ١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فيقول عبد ربه الراجي عفوه ومغفرته عبد الرقيب بن مطهر بن محمد حجر الحسني اليمني ختم الله له ولوالديه بالحسنى: إنه في مغرب يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان الكريم من شهور سنة ١٤٢٨[١] ثمان وعشرين وأربعمائة وألف، دهى عامة الشيعة الزيدية بل كافة الأمة المحمدية خطب جلل، ومصاب أدمى مآقي المقل وذلك بوفاة ﴿إمام عصره بلا منازع، المولى الحجة، رباني العترة وحافظها، والمجدد لتراثها ومذهبها، أبي الحسنين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي الحسني﴾ أكرم الله مثواه ورفع منزلته في أعلى عليين، وذلك عن ستة وتسعين عاما من مولده، وهو عمر مديد قطعه رضوان الله عليه في رضا العلام، بين عبادة وإرشاد، وتدريس وجهاد، ومنافحة عن مذهب العترة الطاهرة، وانتصار لعقائدها المستمدة من الكتاب والسنة، شهد له بذلك القاصي والداني، وانعقد الإجماع على فضله وسابقته من الفريقين، ومع ذلك فهو القائل في عام ١٤٠٨:

هـــذه ســـتة وســـبعون عامـــا	قد مضت وانقضت كطرفة عين
لـم أحقـق مـا كنـت آمـل فيهـا	مـن جهـاد ونشـر علـم وديـن
رب فـاغفر وارحـم وأيـد وسـدد	وتكـرم بـاللطف فـي الـدارين[٢]

وكانت مواراته ودفنه بـ(مدينة ضحيان) في صرح جامعه جنوبي المدينة، في موكب جنائزي عُدَّ المشيعون فيه بعشرات الآلاف، وذلك في عصر يوم الأربعاء ثاني يوم موته، فكان لزامًا على قرائح الأدباء أن توفّي المقام حقه، وتودّع مولى الفضائل بما يليق بعا لم مثله، ملأ الآفاق صيته، وسارت الركبان بميمون أخباره وآثاره وكراماته، وإلا لعدّها الدهر مثلبة وأيّ مثلبة، وجفوة وأي جفوة في حق هذا الراحل الجليل، فلا يوجد في عامة الزيدية أفراد أو جماعات من لا تطوقه مِنَنُ المولى المؤيدي وأياديه الجسام، لا يكابر في ذلك إلا حاسد أو جاحد.

واستشعارا مني لخصلة الوفاء، وركوبا لسفينة الولاء، فقد آثرت نظم هذه القصيدة العامرة إن شاء الله ببركته، مسميا إياها: ((**كريمة الطرفين**))

---

(١) يوافق ١٨ سبتمبر ٢٠٠٧م.

(٢) راجع القصيدة في ديوان الحكمة والإيمان ص ٣٥.

مع اعترافي بقصور الباع، وولوجي ميدانا لست من أهله، لكن دافعي في ذلك حب عارم ومشاعر فياضة، أبت إلا أن تجود بمدامع وغرر، وأوجاع ودرر، قال تعالى: {لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله}(٣). على أنها قد نظمت في رثائه رضوان الله عليه ما قيل لي أنها بلغت مائة قصيدة أو أكثر، ومن أكابر من رثاه سيدي العلامة النحرير عبد الرحمن بن حسين شايم المؤيدي الحسني بقصيدة جاءت بمثابة النعي، وهي من أوائل القصائد المتداولة، ومنهم شيخي وسيدي العلامة البليغ الحسن بن محمد الفيشي اليوسفي بعث بقصيدة في رثائه من (وادي نجران) حيث كان نازلاً هناك ولم يحضر تشييع الجنازة، واستهل قصيدته تلك أبقاه الله بقوله:

من ذاك بعدك في (مقام الهادي) ... إذ كنت أنتَ إمامُ ذاك النادي؟!
حملَ (الرسالة) واصطفاكَ لحملها ... بالعدل والتوحيد والارشاد
ولذا غدوتَ (زعيم آل محمد) ... ولسانهم في النشر والإعداد(٤)

وهذه جلية أمرٍ واضحة للعَيان بأنه كان في مقام الأئمة السابقين، وإمام ذلك (النادي الهادوي) صيانة وحياطة وهداية، ولا يخبرك عن صدق ذلك مثل طلابه وتلامذته الملازمين له، والمطلين على أحواله وأخباره، ويعجبني في هذا المقام قول تلميذه الأخص وملازمه المختص سيدي العلامة الحسن الفيشي أبقاه الله حيث يقول من قصيدة مادحاً إياه:

فلا وربّكَ لم أنظر له مثلاً ... ولن يُرى في سوى (المهدي) مخبره
أحيا وأحمى وأسخى كل أونة ... علماً وسرحاً وجوداً عمَّ كوثره(٥)

وقد أحببت جواب قصيدة شيخي السابقة الذكر، لحقوق وجبت علي نحوه أمد الله في عمره، كوني أحد تلامذته المستفيدين عليه، وكونه نائيَ الديار عن (المدينة الصعدية) لم يتسن له تشييع جثمان شيخه والعزاء لأولاده، إذ كان هناك في (وادي نجران) كما ذكرنا، فلذلك قلتُ مستفتحًا:

أهلاً بنظم مِنْ وراء الوادي ... أشجى القلوبَ وفتّ في الأعضاد
من عالم أولى العلوم حقيقَها ... وأسالَ فيضَ بلاغة وسداد
ذو رفعة وزهادة علوية ... طارَ المديحُ بها وسار الحادي!
يرثي إماماً قلَّ في توديعه ... نظمُ الرثاءِ وشقّ ثوبِ حداد
يرثي إماماً للعلوم وللتقى ... والعدل والتوحيد والإرشاد

---

(٣) سورة الطلاق: آية ٧.

(٤) والقصيدة متداولة، وأبياتها ٣٦ بيتا.

(٥) راجع القصيدة في ديوان الحكمة والإيمان ص ٥٥.

يرثي إماماً عبّ [٦] من تياره ... ذاك الغمام وسال ذاك الوادي!
أعْزز على دين النبي محمدٍ ... فقدانُ ذاك الكوكب الوقّاد
إن القلوبَ على جلالة قدره ... والعلم تبكي واحد الآحاد
بل قمة شمّاء بل أكرومةً ... من آل بيت المصطفى الأمجاد
(الهادوي) أرومة وعقيدة ... و(القاسمي) بهجر كل معادي[٧]
أمضى السنين مدافعا ومحامياً ... عن حوزة شَرُفَت به ونوادي!
من مثل (مجد الدين) يا هذا الورى ... إن كان منكم ناطق بسداد؟!
لهفي عليه ولهف كلّ موحّدٍ ... يُنْمى لزيدٍ في هدى ورشاد [٨]
ما كان أمضى فكره ويراعه ... فردُ العلوم وجهبذ النّقاد
إن (اللوامعَ) وهي نورُ محابر ... باتت لعالَمِها (كتابُ رشاد)
جادت يدُ المولى بها، ففصولها ... في مقتضى الإصدار والإيراد
فيها أسانيد العلوم قوائلٌ: ... (ما ذلك الإسناد من إسنادي)
يروي نظيم الدر عن آبائه ... ويقول كالمنصور للأضداد:
(كم بين قولي عن أبي عن جده ... وأبو أبي فهو النبي الهادي)
(والله ما بيني وبين محمد ... إلا امرؤ هاد نَماه هادي)

****

عذراً (أبا الحسنين) إني قاصرٌ ... عمّا رثاكَ به (عميد النادي) [٩] !
فهي الفرائد كنت أنتَ حشوتَها ... في سمعه وجرت على الإنشاد
إذ كان لازمُكَ الأخص تتلمذاً ... والنّابِهُ الزاكي على الورّاد
فاعذر محبك في كساد قصيدِهِ ... فالقلبُ منه غير ذات كساد
ما كان قصدي بالرثاء تعرضاً ... لسوى المثوبة فهي كل مرادي!
فلكلّ تأبين عوارفُ منحةٍ ... وجزاءُ عارفتي هدىً بفؤادي!
ما كنتُ أقدر أن تصلني نفحة ... مرّت على (الأخدود) والأنجاد
ترتادني وأكون منها خالياً ... كلا وربّ روائح وغوادي!
فالقلبُ في غليانه والنظمُ في أوزانه يَنْزو بغير سناد[١٠]

(٦) العب: شرب الماء من غير مص.

(٧) الهاودي: نسبة إلى الإمام الهادي يحي بن الحسين (ع)، والقاسمي: نسبة إلى جده الإمام القاسم الرسي.

(٨) ينمى لزيد: أي ينتمي لمذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإليه تنسب الزيدية.

(٩) قصد بعميد النادي شيخه العلامة الفيشي.

(١٠) السناد: من عيوب القافية.

مُتَوثِبــاً نحــوَ المفــارقِ بلــدة … يشــكو إليــه حــرارة الأكبــاد
مولى الورى لَلخطب يعظمُ والأسى … إذ لـم تكـن مـن حاضـري الأشـهاد
إذ شيّعوا (المولى الرضا) في موكبٍ … ماجــت شــوارعه مــن الأعــداد
وكـأنّ (صـعدة) فـي صـدى تهليلـة … حشــرٌ تَنَبّــه بعــدَ طــول رقــاد

إلى أبيات جاء آخرها قوله:

ولقــد أقــولُ (لعصــبةٍ زيديــة) … الخطبُ وَحّد شملهم فـي نـادي!
الــدّهرُ أبلــى حلــة، والعلــمُ أنهــضُ بلغــة، والجهــلُ بالمرصــاد
لا تَخــذُلَنّكُمُ أمــورٌ فجــةٌ … عـن دَس أهـل الفسـق و الإلحـاد
(فـالآلُ) و(القـرآن) لـن يتفرقـا … ثقــلان حتــى ســاعة الميعــاد
مـا غـابَ منهم كوكبٌ في مغرب … إلا بــدا فــي الشــرق نــورٌ بــاد
صــلى علــيهم ربنـا مــا حركـت … ريـح الصَّـبا غصـنَ القنـا الميـاد
وعلى أبيهم خير من وطىء الثرى … غــوث الوجــود وغايــة الإيجــاد

***

ومما قلته أيضا أيام مخيم العزاء المقام في (مدينة صعدة) والذي امتد مدة سبع ليال في شهر رمضان، أبيات هذه القصيدة قلتها في أقصر مدة على البديهة[11] حبا للمشاركة، وتشرفا وتبركا بذلك الجناب المؤيدي، وهذا مستهلها:

جــلّ المصــابُ نــوازلَ الأقــدار … وغَــدّوتِ أُمَّ نوائــب وضِــرَار
أكـذا وقـد أبقيـتِ غمـراً جـاهلاً … تــأتين ســاحة حــافظ الآثــار؟!
هــلا بَلَيــتِ القــومَ قبــل تعـرض … يا (أُمّ قَشْعَم) في إمام الدّار[12] ؟!
فلرُبَمــا كانــت محبــتهم لــه … صــوناً لطــي عمــائم الأبــرار
إذ غــابَ نــورُ هدايــةٍ لا تنطفــي … فــي مَسْــمع للنــاس أو أبصــار
شــيخُ العلــومِ إمامُهــا نبراســها … نحريرهــا ســبّاقُ كــل مجــاري
مولى المواهبِ والمناقب والحِجا … وقــرينُ كــل ممــادح وفخــار
مــن لـيس فـي أوصـافه ذو ندبـةٌ … يُوْفِيــه فــي بســطٍ وفــي إقصــار
لحـقَ الأوائـلَ فـي خصـالِ كمالـه … وعــلا علــو مطــالع الأقمــار
ووعـى المـواليَ والمخـالفَ حكمـةً … للــدّهر إذ أبقــاه قطــب مــدار
هجمـت بـه (التسـعين) فهـو معمّـرٌ … وأنـافَ (سـتاً) فـي هـدى الغفّـار

---

(١١) ثم إنه جرى عليه قلم التنقيح والتهذيب.

(١٢) بليت: اختبرت، وأم قشعم: كناية عن المنية أو الموت.

قطعَ الزمانَ وذكره في رتبةٍ ... كالبدر لم يخضع لليل سرار[١٣]
قل للمنايا بعده فلتطلبي ... مِن يعربِ ما شئتهِ ونزار
فلقد ترجّل ما نحاذره وما ... كنّا عليه نضيق بالأقدار

***

يا راحلاً بالمجد عنّا والعلى ... ومشيّعاً منا بدمع جاري!
لو كان يُفدى هالكٌ لجلاله ... لَفَدَتك آلافٌ من الأعمار؟
حَفِلت بكَ الأيام ملء رحابِها ... رغمَ اختلاف حوادثٍ وطواري!
ولقيتَ ما لقي الملوك حفاوة ... من دون قَوْد الجحفل الجرار[١٤]
كانت بنو الإسلام منك على يدٍ ... موثوقةٍ في النقض والإمرار
عَقَدت خناصرَها عليك وأجمعوا ... في الناس أنّك درة التقصار
واليومَ ها هي في وداعكَ هُمّلٌ ... لا يلتقي الغادي بآخر ساري!

ومن أبيات القصيدة:

يا (رأسَ أهل البيت) أجرُ مجاهدٍ ... من ذي الإله وفي أعزّ جوار
ذكراكَ (جامعةُ) القلوبِ وعطرُها ... وسُرَاك في (تحفٍ) وفي (أنوار)
إني ذكرتُك والأكفُ حواملٌ ... للنّعش يعلو تارة ويواري
وذكرتُ (صعدةَ) حيث كانت معهداً ... لك فيه ركنُ هدايةٍ ووقار
متخلي الأحوال إلا من هدى ... تُولِيه روضَ مسارح الأفكار
وحلائقُ التدريس تنطفُ[١٥] من فمٍ ... زاكٍ بأبيض فضةٍ ونضار
مَغْدَاكَ (ذو النورين) خيرُ بَنِيّة ... وإلى (الذويد) تُحَفّ بالأبصار[١٦]
واهاً على تلك الليالي إنها ... كانت لَعمري في الزمان دراري!
يا (صعدة الهادي) عرفتِ شبابَهُ ... أَلِقَاً أقيمي اليومَ ندبة واري[١٧] !
وتَوَدّعِي أنفاسَ عالِمك الذي ... بتّ به خبراً من الأخبار
فلرُبّما كانَ الوداعُ مؤثراً ... في الرّبع قبلَ غرائزِ الأشعار

(١٣) السرار: بكسر السين وهو آخر ليلتين في الشهر يستسر فيها الهلال.

(١٤) الجحفل الجرار: الجيش العظيم.

(١٥) تنطف: من نطف الماء أي قذفه. والنضار: الذهب.

(١٦) ذو النورين: اسم لجامع الإمام الهادي بصعدة، والذويد: أيضا من مساجد صعدة نسبة إلى بانيه وهو في حارة الجربة من حارات صعدة القديمة وكانا حافلان أيام الإمام يحيى حميد الدين بالمولى مجد الدين تدريسا وإرشادا. راجع مقدمة مجمع الفوائد، وكلام السيد العلامة إسماعيل المختفي رحمه الله حول ذلك.

(١٧) الندبة: ذكر محاسن الميت وفضائله، والواري: المشتعل.

ومنها قوله في آخرها:

يــا تربــة ضَــمَّيْت خيــرَ مُــوَدَّعٍ ... مـا حُـزْتِ مـن شـرفٍ ومـن إكبـار
لا زال مَــوّار الســحائب هاميــاً ... يغــدوك كــل عشــية ونهــار
وعلــى النبــي وآلـه سـفن النجـا ... أزكــى التحيــة ســرمد الأدهــار

***

ولما تصرمت ليالي الشهر الكريم وقد غلبت روحانيته العطرة، وتلاوة كتاب الله فيه على مواجع وحسرات تلك القلوب التي ودعت ذلك (الطود الأشم والبدر الأتم)؛ جاشت بالناظم مع صبيحة يوم عيد الفطر المبارك خواطره ومشاعره، وعلم أنه لا يزال للألم واللوعة في أعماقه قصيدة لم تقال، وبدأ يتطلع إلى الأفق في جهاته الأربع، ويتلفت في وجوه أقوام وأقوام، كأنه بذلك يرسم في خلده(١٨) لوحة فنية من خلال إمعانه النظر في تلك المعالم والصور، ليطلق بعدها الخاطر إشارة إلى القلم بهبوط وحي المشاعر وإيحائها، وما عليّ إزائها إلا استعراض بحور الأوزان الشعرية لأختيار أيها الأنسب منها للمقام، والنتصيص على حرف الروي والقافية، لكن الإيحاء الوجداني لم ينتظر وبدأ يصدر تَمتمة هنا وتمتمات هناك، وفي مقيل جمعني بإخوان أعزاء تردد ذكر (المولى مجدالدين) وذكر فضائله ومساعيه، فكان ذلك بمثابة وقوع الحافر على الحافر، ووقف اختيار بحر القصيدة وقافيتها على ذلك الصدى الذي دوّى في حنايا الناظم:

بلابلُ الـدهر هـل حلـت مآسـيه؟ ... وهـل تَـوَدّعَ منّـا خيـرُ مـا فيـه؟!
وهل فقدنا بـمجد الـدين عمـدتنا ... رَبْعاً مـن الـيُمْن كنّا فـي صـوافيه؟

فكتبت البيتين في قصاصة ورق، مفارقا لذلك المقيل وقد لقيت ضالتي المنشودة فيه، وفي المساء جاءتني وفود المهنئين والمباركين من أرواح الأدباء والعلماء والصالحين.. إلا أن وافدا من الأئمة عليهم السلام طرقني بعد هزيع(١٩) من ذلك الليل، كان حقاً عليّ إجلاله وتعظيمه، وتقبيل أطرافه، لما تعرفت من سجاياه ومخايل سيمائه أنه الإمام شرف الدين بن شمس الدين صاحب القصيدة الموسومة (بقصص الحق)(٢٠) والتي مطلعها:

لكـم مـن الحـب صـافيه ووافيـه ... ومـن هـوى القلـب باديـه وخافيـه

---

(١٨) الخلد بالتحريك: من أسماء النفس.

(١٩) بعد هزيع من الليل: أي بعد مضي صدره.

(٢٠) وهي المسماه بقصص الحق في ذكر معجزات سيد الخلق، وعليها شروح كثيرة منها (ابتسام البرق) للعلامة محمد بن يحيى بن بهران الصعدي (ط).

أنـتم حلـول فـؤادي وهـو بيـتكم		(وصاحب البيت أدرى بالذي فيه) [٢١]

وأخذ يترسل في إنشاد القصيدة حتى جاء على آخرها، واستوقفني منها قوله يخاطب المصطفى الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله:

يا (سيد الرسل) : إنا معشر خشن		فـي دينـك الصـدق نحييـه ونحميـه
مـن آل سـبطك لا تنفـك طائفـة		منّا على الحـق تخـزي مـن يناويـه
ولا تـزال علـى أكتافنـا خـذم		تبيـد خضـراء قـوم لا تراعيـه[٢٢]
منـا خليفـة حـق مـن تكـون لـه		شـروط شـرع بالاسـتخلاف تمليـه
فـنحن (طائفـة الحـق) التي وردت		فيهـا الأحاديـث ممـا الكـل يرويـه
تركتنـا مـع كتـاب الله جـل إلـى الحـوض الـذي لموالينـا نرويـه
(سـفينة الله) تنجـي مـن يلـوذ بهـا		ومـن تخلـف فـي النيـران تهويـه
ونـوركم أيهـا (الأشـباح) صـارَ بنـا		وهـو الـذي (آيـة التطهيـر) تعنيـه
إجماعنـا حجـة الإجمـاع وهـو لـه		أقـوى دليـل علـى مـا العلـم ينبيـه

فاشتبشرت كثيرا بما كان من ذلك الطيف الساري، وعقدت العزم على إطالة النفس، وإهراق مداد الفكرة والقريحة في إصابة المرمى والغرض، بحيث يكون التأبين جامعا لحوادث وأوصاف، وبلاغة وأهداف صالحة إن شاء الله. وكان مني في إبان ذلك إرسال بعض أبيات مما نظمت من القصيدة عبر رسائل المحمول إلى سيدي العلامة الأديب الفاضل عبد السلام بن عباس الوجيه، فأطنب في الإشادة بها، وراق له نعتها بالبليغة، وحث على إنجازها لتكون من القصائد الملقاة والمنشورة في الأربعينية، التي حُدد مكان إقامتها فيما بعد في مركز بدر العلمي والثقافي بصنعاء[٢٣]، لكن ظروف الناظم ومشاغله لم تتح له إلقاء قصيدته أو نشرها في الأربعينية، وتراخت به المدة بعد ذلك في تنقيح القصيدة وتهذيبها، ومن ثم عرضها على ذوي الشأن والخبرة، ومن ثم طباعتها ونشرها على الوجه الذي هي عليه بين يدي القارئ الكريم، فهذا هو مفاد الخبر لمن تسائل عن سبب تأخر تداول القصيدة إلى هذا الوقت.

---

(٢١) عجز البيت اقتباس، وهو لابن حمويه المتوفى ٦٤٨ ذكر ذلك السبكي (الأعلام ٨: ٢٤٩) وقد ضمنه في بعض قصائده ابن نباتة المصري، والإمام شرف الدين هنا (مؤلف).

(٢٢) الخذم: السيف القاطع.

(٢٣) راجع عن ذلك صحيفة البلاغ اليمنية العدد ( ).

وقد سألني سيدي المبجل عبد الرحمن بن حسين شايم عن تسمية القصيدة، وما المراد (بكريمة الطرفين)، فجاء جوابي عليه أبقاه الله على استحياء، حيث عللت ذلك الاختيار بما سنح لي تلك اللحظة أن (المولى مجد الدين) كريم الطرفين فهو (حسني) من جهة الأب، و(حسيني) من جهة الأم، فارتضى ذلك التعليل كرما، وأنشدني أبياتا له أبقاه الله كان نظمها في عام ١٤٠٥ يطلب إلى المولى مجد الدين إجازة في جميع ما تصح له الرواية فيه، ومطلعها:

قف بالمطايا لحظة يا حادي	**أمسك عن التغريد والإنشاد**
فلقد أنارت للعقيق معالم	**وبدت أثيلات بذاك الوادي!**

ومنها قوله:

ثبتت مكارمه بكل طريقة	**صحت عن الآباء والأجداد**
ما فيهم إلا إمام كامل	**هذا هو المهدي وهذا الهادي**

وفي عجز البيت الأخير الإشارة إلى ما نبهت عليه من أن المولى رضوان الله عليه وسلامه كريم الطرفين، وذلك في قوله: (هذا هو المهدي وهذا الهادي)؛ وأخبرني سيدي عبد الرحمن أبقاه الله أن المولى مجد الدين لما سمع ذلك البيت والذي قبله طرِب لهما طرب أمثاله.. وهذه سانحة عرضت ولي فيها غرض. ويجدر بي بعد هذا التقديم الذي كان لا بد منه، التوجه إلى علماءنا الأعلام ومشايخنا الكرام، وكل صاحب معرفة بالأدب وفنونه، بالدعوة لهم في إسدال الستر فيما عساه يقع من أخطاء وشطحات، على أنني قد أبلغت الجهد تنقيحا وتهذيبا، ولكن الأمر لا يخلو، وأن لا يبخلوا بالدعاء لكاتب هذه الأحرف بالعفو والمغفرة وحسن التوبة.. إنه سميع مجيب.

كاتبه غفر الله له

قصيدة كريمة الطرفين

وهذه هي قصيدة كريمة الطرفين وهي ١٠١ بيتا.. وهذا مطلعها:

بَلابِـلُ الـدّهرِ هـل حلـت مآسـيهِ ... وهـل تَـوَدّع منّـا خـيرُ مـا فيـه[٢٤] ؟!

وهـل فقـدنا بـ(مجد الـدين) عمـدتنا ... رَبْعـاً مـن الـيُمْن كنّـا في صـوافيه[٢٥]

لله نعـي إمـامٍ مـن (ذُرَى يَمَـن) ... إلى (المدينـة) في صـوتٍ تواليـه[٢٦]

نَعَـت بـه مـدنُ الخضـراءِ ذا مِـنَح ... يَقِـلّ في خِطَـط الغـبراءِ ثانيـه[٢٧]

جـزلُ المفـاخرِ في آثـاره مِسَـح ... مـن النبـوة، هـادي الخلـق هاديـه[٢٨]

أغـرّ أبـيضَ يستسـقى بغرتـه ... قطرُ السماء وقـد شحّت سَوَاريه[٢٩]

ثـوى فأمسـت عيـونُ المجـد باكيـة ... فالمجـد مـن بعـده أَقْـوت مغانيـه[٣٠]

ثـوى فـألقى بنـاءُ الفضـل أقلـدةً ... كـان الـورى أَمْنَحوهـا جيـدَ بانيـه[٣١]

ثـوى فـديوانُ أهـل العلـم منقسـمٌ ... علـى سـواه، وقِـدْماً كـان مفتيـه[٣٢]

(زاكي البقيةِ) مـن آل الرسول غـدت ... بـه المنايـا إلى ربٍّ مُوَفِّيـه

معمـمُ الهـامِ يسـري في هدايتـه ... ركـبُ العقـول فمـا تكبـو هواديـه [٣٣]

---

(٢٤) البلابل: شدة الهم والوساوس في الصدر، المآسي: المصائب.

(٢٥) الربع: المحلة وربع القوم محلتهم، اليمن بضم الياء: البركة وهو خلاف الشؤم، والصوافي: جمع صافية وهي الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته لطيبها ووفرة خيراتها.

(٢٦) النعي: رفع الصوت بذكر الموت ومنه الناعي، الذرى: مفردة الذروة وذروة كل شيء أعلاه ويقصد بذلك مرتفعات جبال اليمن، تواليه: تتابعه.

(٢٧) مدن الخضراء: مدن اليمن يقال لها اليمن الخضراء، ذو منح: يقصد منح ربانية اختص بها. والخطط: الأرض الواسعة يختط عليها المساكن ومنه خطط الكوفة والبصرة، والغبراء: الأرض وفي الغبراء والخضراء وهي السماء طباق.

(٢٨) جزل: عظيم، والمفاخر: ما يفاخر به، ومسح: جمع مسحة وهي ما تبقى من الشيء يستدل به عليه ومنه الحديث النبوي: عليه مسحة ملك.

(٢٩) استسقى الرجل: طلب السقا، شحت: بخلت وامتنعت، السواري: جمع السارية وهي السحابة الممطرة.

(٣٠) ثوى: أقام بالمكان ومنه قولهم رحمه الله مثواه، أقوت: خلت.

(٣١) أقلدة: جمع قلادة، الجيد: العنق.

(٣٢) قدما: أي فيما تقدم.

(٣٣) الهام: الرأس، الركب: ركاب القافلة وإضافة العقول إليها على جهة المجاز، تكبو: تنكب على الوجه، الهوادي: جمع هادية والهادية من كل شيء أوله وما تقدم منه، فيقال هوادي الخيل أعناقها لأنها أول شيء من أجسادها، قال في لسان

خلا من الخُلُق المكدودِ منهجُهُ … وحلّ فيه هدى طه وهاديه[٣٤]
العلمُ حلته، والفضل حليته، … والآل دوحته، والدين داعيه
كالبدر في شرفٍ ما نال رتبته … عند التمام سِرارٌ في لياليه[٣٥]
مجللٌ كملوك الناس، هيبتُهُ … بلا حسامٍ ولا رُمح يروّيه[٣٦]
يدنو التصاقاً إليه كل ذي دَغَل … ويدّعي حبَّه من لا يواليه[٣٧]
مناقبٌ ما تلوناها على أحدٍ … إلا وأضربَ عن تأميرِ وَاليه[٣٨]
ألقت إليه بنو الدنيا مقالدَها … فعافها، وتجلّى في تواريه[٣٩]
وما (الخزائنُ) يوم الجمع في حُجُب … عن البيان فَيُعْفِينا تناسيه[٤٠]
فقائلٌ مجدُ هذا الدينِ مجتهدٌ … وقائلٌ بل إمامٌ في مساعيه[٤١]
ولو صَدَقنا على الحالين أنفسنا … كانت مساعيه أجدى من مواضيه[٤٢]

***

لله من راحل بيضٌ صحائفه … خضرٌ صنائعه يُمنٌ مواطيه[٤٣]
تَصَرّم العمرَ نصلاً في محافله … وبارَحَ الدهر تُطرِيه عواديه[٤٤]

العرب: وتكون الهوادي أول رعيل يطلع منها لأنها المتقدمة.

(٣٤) خلا: بَعُد، وحل: استقر.

(٣٥) السرار: بكسر السين وهو آخر ليلتين في الشهر يستتر فيها الهلال.

(٣٦) الحسام: السيف، يروي الرمح: يخضبه بالدماء.

(٣٧) ذو دغل: أي ذي فساد في عقيدته والدغل: بالتحريك الفساد.

(٣٨) أضرب عن الأمر رجع عنه بعد الدخول فيه.

(٣٩) مقالدها: جمع مقلد وهو المفتاح كناية عن بذل أهل عصره له الطاعة والمطاوعة فيما يريد، وعافها: كرهها والعائف الكاره للشيء المقتدر له. وتجلى أي اشتهر ولمع في تواريه أي تركه المناصب.

(٤٠) الخزائن: موضع قرب ضحيان شمال صعدة عقد فيها اجتماع شهير بعد قيام الثورة في نحو سنة ١٣٨٥ تقريبا وكان المولى مجدالدين أحد أبرز حاضريه، بل نقلت الألسن عن ذلك الاجتماع مؤاذنة عدد من الأكابر له في الدعوة إلى الرضا من آل محمد لما رأوا الخلاف بين سيوف الإسلام من آل حميد الدين، والله أعلم.

(٤١) في نسخة: وقائل مجد هذا الدين مقتصد.

(٤٢) أجدى: أنفع، المواضي: السيوف وهي كناية عن الدعوة التي من شرطها إشهار السيف أو ما يعبر عنه. وفي نسخة: كانت مساعيه أمضى من عواليه.

(٤٣) يريد بالمواطيء مواط القدم أي أن اليمُن مصاحب له أينما حل وارتحل.

(٤٤) تصرم العمر أي قطع أيام عمره وهو كالنصل أي كالسيف، وبارح: فارق، تطريه: تثني عليه، عواديه: عوادي الدهر نوائبه وخطوبه.

ما ميّزته اختلافاً في شبيبته ... وفي مشيبته إلا مَوَاليه[٤٥]
طريقةُ الحقِّ يجلوها ويسلكها ... وفي اعتصامٍ بحبل الله يبديه[٤٦]
ما ضره كثرة الدّهماء إن له ... في قلة الحق آياتٌ تسليه[٤٧]
هُوجُ العواصفِ مرّت ما لوى وَهَناً ... رداءَ عزمٍ، ولا صافَى معاديه[٤٨]
وفي احتمالٍ على الجُلّى جَلا ظُلَما ... كادت تَعمّ الحمى لولا أياديه[٤٩]
في ثورةٍ (يمنُ الإيمانِ) مُنصدعٌ ... من الدماءِ صريخ في أهاليه[٥٠]
فَمِن ثباتٍ تجلى في مواقفه ... ومن عُزوفٍ توخّاه توخيه[٥١]
ما كل نَدبٍ له مسعاه في ورع ... وما لكل جليل سرّ ما فيه[٥٢]
يظنه الجاهلونَ شيخَ زاويةٍ ... حتى يَطُم ركاياهم أَوَاذِيه[٥٣]
فللعقولِ مقيلٌ في معارفه ... وللزعامةِ ذَاتٌ في تعاطيه[٥٤]
وقائلٌ لي أترثيه وتمدحه؟ ... فقلتُ: مهلاً فإنّي لا أوفّيه!
فأيّنما وجهتني سفنُ أَخيلَتي ... في بحره ضلّ بي مِيناء شاطيه[٥٥]
وهكذا نادبُ الأعلامِ يغمره ... فيضُ المعانيَ في قولٍ يؤدّيه
فيا لقلبي أتابينٌ يُشَرّفه ... وفي توارِ عن الأضواء يبكيه
إني لأبرأُ من دهرِ تأخرَ بي ... إلى زمانٍ أنا راثي رِجَاليه!

---

(٤٥) يريد أن لا شيء في أموره اختلف في أيام شبابه ومشيبه إلا تزايد أعداد مواليه وأشياعه.

(٤٦) يجلوها: يكشفها ويوضحها، يبديه: يظهره.

(٤٧) الدهماء: العدد الكثير ودهماء الناس جماعتهم وكثرتهم، وقلة الحق: أي قلة أهل الحق والآيات المادحة للقلة عديدة في القرآن الكريم أفرد لها الإمام زيد (ع) كتاب القلة والكثرة.

(٤٨) الوهن: الضعف، صافى: سالم ولاين.

(٤٩) الجلى: الأمر العظيم، جلا: كشف، ويريد بالظلم: المظالم والمصائب التي حلت، والحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. أياديه: الأيادي الصنائع التي يوليها الرجل قومه.

(٥٠) منصدع: من الصدع وهو الفرقة والتشتت.

(٥١) العزوف عن الأمر: تركه بل الدخول فيه، يشير في ذلك إلى هجرته بعد تشعب الأمور إلى ظهران الجنوب مع شيخه نجم الآل الحسن بن الحسين الحوثي رحمه الله وبقية العلماء. توخاه: اختاره وارتضاه.

(٥٢) الندب: الرجل الماضي في أموره.

(٥٣) شيخ زاوية: أي شيخ تدريس وإقراء، والركايا: جمع ركوة وهي إناء صغير من جلد، والركية أيضا البئر تحفر والجمع ركى وركايا، والأواذي: جمع الآذي بالمد والتشديد الموج الشديد.

(٥٤) مقيل: استراحة، وتعاطيه: تعامله في تسيير الأمور وتدبيرها.

(٥٥) أخيلتي: من الأخيلة وهو فكر الخيال.

فليـــتَ شـــعري أمـــيلادٌ طوالعـــه … نحـــس، أم الـــدهر أبقـــاني لباليـــه؟!

***

يـا شـيعةَ (العـروةِ الـوثقى) يَحـقّ لكـم … سَـكبُ الـدموع علـى جَـمّ معاليـه

فقد مضى إذ مضى من كانَ مُصطَفياً … على الأنام . لحكم الفضل . باريه

جُـــذَيِّلٌ في بـــني التأويـــل مُـــؤتمنٌ … أبـــاؤُه مـــن رســـول الله تُدنِيـــه[٥٦]

بـه انتهــاضُ عثــارِ الـدّين في زمــنِ … تَكَالبـــت فيـــه أقـــوام لِتُطفيـــه[٥٧]

حيـثُ العلـومُ بـه شِـيْدت معاهـدُها … وحـــدّثت عـــن أماليهـــا أماليـــه[٥٨]

وعـــن محـــلِ اجتهـــادٍ رَدَّ زائفَهـــا … إلى صـــحيح ثقـــاةُ الآلِ ترويـــه

حســـبُ الـــرواةِ أســـانيدٌ موثقـــةٌ … كانـــت مَظَنّـــةَ تعـــديلٍ وتمويـــه

يروي بها المجد عن شهب الورى سنداً … عـن النجـوم عـن الراقـي مراقيـه[٥٩]

إن (اللوامـــــعَ) روضٌ في خمائلـــــه … جِـنَى الثمـارِ نضـيجات لجانيـه[٦٠]

أعلـــى بهـــا قلـــمُ الـــديباج أبنيـــةً … للحـــق نصـــراً وإعـــزازا لأهليـــه

لا تحســـــبُوه تجلّـــــى في لوامعـــــه … بـــل في لوامعـــه جلّـــى مباديـــه!

إذ أحكـمَ الطـوق في أعنـاقِ زِعنَفـةٍ … غُلـف القلـوب بمـا لا يُمْـتَرى فيـه[٦١]

فكـم لـه (زلـفٌ) في نصـرِ خالقـه … وكـم لـه (تحـفٌ) في ديـن باريـه[٦٢]

مُصَـــمّمٌ لا يُـرى في الحـق مكـترثٌ … إذا (هـدى حيـدرٍ) وادي مآتيـه[٦٣]

قـد أخلـصَ الله في تطليـقِ فانيـة … فمـا سـوى الـدين يغضـبه ويرضـيه

لمـــا رأى الزّيـــفَ في أنحـــاء بلدتـــه … يـــأتي علـــى ركـــن توحيـــد وتنزيـــه

---

(٥٦) جذيل: تصغير جذل وهو أصل الشجرة ومنه قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك. وبنو التأويل: عنا بهم أهل البيت لآثار وردت في ذلك.

(٥٧) تكالبت: تجمعت وتواتبت على الشر.

(٥٨) الأمالي: الأماليات المعروفة عند الزيدية أمالي المؤيد بالله وأمالي المرشد بالله وأمالي ظفر بن داعي وغيرها.

(٥٩) قصد بشهب الورى: سادة أهل البيت المقتصدين، وبالنجوم أئمة أهل البيت، وبالراقي مراقيه جدهم المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله. ومعنى البيت مأخوذ من قول الشاعر:

أحاديث ترويها السيول عن الحيا … عن البحر عن جود الأمير تميم

(٦٠) اللوامع كتاب المولى مجد الدين وهو في ثلاث مجلدات (ط)، الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثيف الملتف.

(٦١) زعنفة: زعنفة كل شيء ردئيه ورذاله، لا يمترى فيه: لا يتداخل فيه الشك والريبة لجلائه.

(٦٢) الزلفة: القربة وجمعها زلف، وفي البيت تورية بقصيدته العامرة المسماة الزلف الإمامية، وشرحها التحف الفاطمية.

(٦٣) مكترث: أي غير مبال. ويشير بقوله (وادي مآتيه) إلى الحديث النبوي: يا عمار إذا سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي.

نــادت مراضــيه: أنــا معشــرٌ خشــنٌ في دينـــهِ الحـــقّ نحييـــه ونحميـــه[٦٤]
يخـــصُ في زُمَـــرِ الأشـــياع نابغـــة رأت مـــن الغـــي إحيـــاءا لماضـــيه[٦٥]
مــا عاندتُــه بــل انســاقت ظواهرهــا لِمُضـــمَرِ كـــانَ مجلـــوّا لرآئيـــه[٦٦]
ومــا أحــبَّ بــأن يقســو فَشَــهدّهُمُ وللـورى مَحضـرٌ ضـاقت نواحيـه[٦٧]
وذاكَ آخـرُ عهـد النـاس مـن علَـمٍ مُـدَافع عـن حِمـى الإسـلام حاميـه
ألقــى معــاذيره في الأمــر وانحبســت لَهَاتُـــه بعـــد إبـــلاغ وتنبيـــه[٦٨]
كــأنّ حكمــةَ ربّ الخلــق قاضــيةٌ بـــأن تُلاقيـــه إيمانـــاً خوافيـــه[٦٩]

***

يــا مـــن فقـــدناه والأيـــامُ راميـــة بكـلّ سـهمٍ مِـنَ الأحـداثِ تبريـه
نزلـــتَ متّكـــأ الأبـــرارِ في غُـــرفٍ ونِلـــت بالعمـــل الأســـنى جَوَازيـــه
إنّ الوفــاءَ لمــا أحييّــت مــن رِمَــم ومـــن عقائـــدَ لا نظـــمٌ يوفّيـــه
تلكَ القصائدُ قِيْلت ما شَفَت مُهَجاً فــالرزءُ أعمــق أن يســلوه باكيــه[٧٠]
ســـارَ المشَـــيّعُ في توديعـــه أُممـــا يشـــق مَـــوّار آهـــاتٍ ويأتيـــه
وغـصّ جـامعَ (ذي النـورين) مُحتَشـدٌ مــا قــط أعــداده جــاءت لبانيــه[٧١]
ظـــنّ المغَـــرّب لمـــا هـــالَ مقلتـــه أن القيامــة حتمــاً ســوف تأتيــه[٧٢]
تــرادفَ النــاسُ أمواجــاً يَقَــرّ بهــم مـــن الزحـــامِ خِنَـــاقٌ في مهاويـــه
فكلهـــم مـــن ثـــواب الله ملـــتمسٌ وكلهــم مــن خصــالٍ فيــه يرثيــه[٧٣]

---

(٦٤) البيت المذكور تضمين من قصيدة للإمام شرف الدين (ع) مع بعض تصرف. راجع ما تقدم ص ٩.

(٦٥) يخص: يفرد، نابغة: نبغ الشيء ظهر ومراده بذلك نابغة الفساد التي ظهرت في آخر أيام المولى مجد الدين وذلك سنة ١٤١٦ وما يليها وتصدى لها بحزم في أحداث لا زالت حاضرة في الأذهان.

(٦٦) مجلو: ظاهر، رائيه: ناظره. وقصد أن تلك النابغة من المخالفين لم تعانده حتى نقول جرت بينه وبينهم خصومة أو خلاف عقائدي، فهم أقل شأنا بل جاء إحياؤهم لماضي الغي مما هو منطوي في الصدور.

(٦٧) شهدهم: أي جعل الناس شهودا عليهم، والمحضر: المجمع الكبير يلتقي فيه الناس.

(٦٨) معاذيره: جمع معذرة، لهاته: اللهاة من ذي حلق اللحمة المشرفة على الحلق والجمع لهوات. ويشير في هذا البيت إلى ما كان من تواهي صوته وعدم قدرته على الكلام لشيخوخته وكبر سنه.

(٦٩) وفي نسخة: بأن يكون وداع المجد من فيه.

(٧٠) المهج: جمع مهجة وهي دم القلب، والرزء: المصيبة، وسلوت عن الشيء: نسيته وصبرت على فراقه.

(٧١) ذو النورين: اسم لجامع الإمام الهادي عليه السلام، وباني بنايته الحالية هو الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين وفرغ من ذلك سنة ٩٥٠هـ وفي الجامع المذكور كان تجمع الناس للصلاة عليه وتوديعه.

(٧٢) المغرب: النازل في غير وطنه.

لا يبلغ الواصفُ المطبوعُ غايةَ ما نال الشعور بعيدا عن دعاويه

إذ ضاعَ (مشهدُ يحيى) في تأرجه مِسْكاً، لِمَقدمِ عِلْقٍ من دراريه[٧٤]

وللقبابِ خضوعٌ مَرّ جَرْشعه حيالها، وصدى الهادي يناجيه[٧٥]

في وقفةٍ أعينُ الأشهادِ ناظرة إلى مقامٍ من الأخرى مراقيه[٧٦]

يا مَن رأى (صعدةَ الهادي) وعالِمَها مُشَيّع النعش يعليها وتعليه

كأنّه جبلُ (العبلاءِ) سارَ به (قاعُ الصعيد) إلى أقصى أراضيه[٧٧]

وللغزالةِ بطء في مغاربِها كأنّ (يوشع) ناداها لناديه[٧٨]

حتى إذا ما تَوارى طودُ مفخرةٍ سالَ الأصيلُ بما يعلو مُوَاريه[٧٩]

فمغربُ الأفقِ ينعي شمسَ أندية إلى الأنام، وينعي شمسَ باريه

فيا لَهُ من وداع دمعه ألم ويومه في قلوب الخلق يذكيه[٨٠]

***

إن النوائب لا تأتي على أُمَم بمثل موتِ ذوي رشدٍ وتأليه

وهل رأى عقلاءٌ موتَ عالِمِهم إلا الزمانُ تَعَرّاهم تَوَليه

فيا لَقومي إذا عرّى جماعتهم صرفُ الزمان وأردتهم أثافيه[٨١]

وصارَ في الناس من يُفتي بمسألة عن الفرائضِ لا تُرْجى ملاقيه[٨٢]

إني أُهيب بما قد جاء في خبر وقائعُ الحال عن راويه تحكيه

من خوفهِ النفس حسرى في تطلعها وجانح القلب ينزو في أمانيه[٨٣]

---

(٧٣) معناه أن كل واحد من المشيعين يرثيه بخصلة من خصاله لتشعبها.

(٧٤) ضاع المسك: تحرك وانتشرت رائحته، ومشهد يحيى: مشهد الإمام الهادي يحيى بن الحسين الماثل جنوبي جامعه، العلق: بالكسر النفيس من كل شيء، والدراري: نسبة إلى الدر وهو كبار اللؤلؤ.

(٧٥) الجرشع: الخشبة يحمل عليها الجثمان، حيالها: جانبها.

(٧٦) المراقي: الدرجة والرتبة. وأعين الأشهاد: أعين الحاضرين.

(٧٧) العبلاء: جبل يطل على وادي رحبان ومدينة صعدة. وقاع الصعيد: قاع ممتد من حصن السنارة وجبل العبلاء جنوبا حتى ضحيان شمالا، ويسمى بقاع الصعيد.

(٧٨) الغزالة: من أسماء الشمس، ويوشع بن نون هو وصي موسى عليه السلام وهو الذي ردت عليه الشمس.

(٧٩) توارى: غاب واختفى، الطود: الجبل، الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، مواريه: مغيبه إلى لحده.

(٨٠) يذكيه: يعيده واريا كما كان.

(٨١) أردتهم: أوقعتهم، الأثافي: حجارة القدر وهي مثلٌ في الشدة ومنها قولهم: رماه بثالثة الأثافي.

(٨٢) يشير إلى حديث نبوي جاء بهذا الخصوص في أنه يكاد السائل يبحث عن من يفتيه في مسئلة فرضية فلا يوجد لقلة العلماء في ذلك الزمان.

أضحى خلاءً شبابُ الجيل من مُثُل ومن خَلاَق وفي عُجبٍ وفي تيه
يغدو الفتى وهو لا يدري ألازمةٌ فروضه في أداءٍ أو نواهيه
لباسه فضله والمال وجهته وهمه فهو حالي الفخر خاليه!
فالخطب خطبان تبكيه مدامعنا وآخرُ بالدم الغالي سنبكيه
إن لم نحرك على آثار مذهبنا حفائظاً لم تَجِدْ ديناً لتحميه[٨٤]
فقل (لأشياع زيدٍ) في مواطنها أقطاب كل فخارٍ في يمانيه
ليتَ (التباين) فيما بيننا رجلٌ يعي مدى ما أضرتنا دواعيه
وهاكمُ هاكمُ غراء مذهبة رثى بها (مجدَ) هذا العصر صابيه[٨٥]
ست وتسعون بيتاً كل مجملها أعوامه ولئآليها لآليه
جرى بها قلمي كالبحر مقتذفاً دراً، وأنوار علم المجد تُمليه
رجاءُ ناظمها في الناس منقطعٌ في أن يمدوا أكفاً في دعائيه:
اشف له يا إله الخلق ناظرتيّ جمانة أنت أدرى ما تعانيه[٨٦]
بالخمسة الغر أقطاب الكساء، وبالآل الكرام، وبالمتلو مراثيه
صلى عليهم مليك الأمر قاطبة ما أنجم الفلك تجري في مجاريه

تمت القصيدة بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٤٢٨

ناظمها غفر الله له ولوالديه آمين.

---

(٨٣) ينزو: يتوثب.

(٨٤) الحفائظ جمع حفيظة وهي الغضب والحمية عند حفظ الحرمة.

(٨٥) أراد بصابيه: الصابي محمد بن هلال الكاتب والشاعر المعروف في أيام الصاحب بن عباد والشريف الرضي.

(٨٦) ناظرتي: واحدة الناظرة وهي العين، وجمانة: ابنة الناظم وهي كفيفة البصر.